

# نظرات في التفاؤل والتشاؤم

للدكتور منصور فهمي



من المسائل العويصة التي حار فيها  
الناس منذ القدم مسألة : التفاؤل والتشاؤم  
ولكل فهمها رأى وعقيدة يحاول تدعيم  
أحدهما أو نقض ثانيهما .

وهي على كل حال مسألة ما تزال مشكلة  
الكون ، وهي لهذا جديدة دائماً ، مما  
تناولها العلماء بالبحث والتحصيل .

وقد رأينا أن نقصد الدكتور منصور  
فهمي ، استاذ الفلسفة بالجامعة المصرية ،  
وأحد أركانها العتيقة ، لسؤاله عن رأيه  
في ذلك ، فكان أن أجاب بما نلته فيما  
بأني في

( الدكتور منصور فهمي )

س : — أذكر أنني قرأت لكم رأياً في التفاؤل والتشاؤم ، وأذكر أن هذا الرأي كان  
نتيجة حوار حدث بينكم وبين المرحوم سعد زغلول باشا ، وأذكر أنكم في هذا الحوار قد  
ناصرتم فكرة التفاؤل ، فما هي حجبتكم في هذا ؟ وهل لنا أن نقرر التفاؤل — في بعض  
الاحيان — بأنه الاستسلام المطلق للقضاء والقدر ، أو أنه التواكل وما إليه مما يبطئ العزائم  
أحياناً ، ويحد من سلطان الإرادة ؟

ج : — أظن أن المقال الذي تشير إليه ، والذي اطاعت فيه على رأي في مسألة التفاؤل  
كان في جريدة الاهرام ، عند ما كتبت فيها مقالا أرى فيه المرحوم سعد زغلول باشا ،  
وأشرت في هذا المقال إلى ما جرى بيني وبينه في موضوع التفاؤل عند ما سألت . رحمه الله  
عليه — عما إذا كنت من أنصار التفاؤل أو من المتشائمين ، وقلت له وقتئذ : إنني من أنصار  
التفاؤل ، وبدأ لي حينذاك أنه كان هو الآخر من المتفائلين . وما زلت على اعتقادي في  
أن الانسان ينبغي عليه أن يكون متفائلاً ، يستقبل الوجود بالبشر ، وينتظر من الحياة خيراً  
كثيراً... ذلك لأن الذي يتشاءم بأخلاص ، ويرى أن ليس في الحياة ما يستوجب البقاء لها

وما يهون على النفس ما فيها من عناء ، وما يسهل على الكائن الحي أن يستسيغ مرارتها . وإذا كان الانسان لا يرى في الحياة إلا تلك الدواحي السوداء ، ثم يعتقد أنها ستظل على لونها القائم وطعمها المر — عندئذ إذا أخلص لنفسه فما عليه إلا أن يتحرر . . .

وإنه ليخيل إلى أن جماعة المتشائمين من الفلاسفة أمثال : « شوبنهاور » و « هابتمان » وغيرهما لم يكونوا منطقيين مع أنفسهم عندما اعتقدوا بسوء الحياة ولم يعملوا على التخلص منها . أفهم أن التشاؤم قد برضى عنه ، وقد يكون مفيداً ومقبولاً إذا كان الغرض منه أن يحفز العزائم إلى الخروج من حالة سيئة إلى حالة حسنة ، لكن : إذا كان التشاؤم يملاء النفس حتى يئسها من كل خير في الحياة — فلا أفهم المتشائم على هذه الحالة يخلص مع نفسه وهو على قيد الحياة : يستقبلها وتستقبله ، ويعيش لها وتبسم له .

أست أنكر أن في الحياة جهات سوداء مخيفة ، وتكفي نظرة واحدة إلى مافي المستشفيات من ضروب الأمراض وآلامها ، ونظرة ثانية إلى مافي الحياة الاجتماعية من يؤس ، ونظرة ثالثة إلى مافي نفس الانسان من أحقاد وضعائن ، ونظرة أخرى إلى ما بين الناس من تقاتل وتناحر ، وإلى ما تكنه الأرض في جوفها من أسباب المصائب كالبراكين والزلازل ، وإلى ما تحتفظ به السماء من أسباب الهلع والشقاء — أقول يكفي أن تنظر إلى ذلك لتجد أن الحياة تنطوى على جانب ليس بالقليل من الشر ، ولكني أفهم أن هذا الجانب يحفز الانسان — بما فيه من عقل وعزيمة وأمل — لأقصاء هذه الشرور والتغلب عليها والتسلط على الأسباب التي يمكن أن تحول بينه وبين أذاها ، ومن هذه الناحية يكون مافي الحياة من شر ليس بدافع لنا إلى اليأس والتشاؤم القاتل ، وإنما إلى العمل والمقاومة والجهود المرجوة والآمال الصالحة ، وإذا كان الشر فيه ما يحفزنا إلى الخير ، فإن مواضع التشاؤم تعود بنا أحياناً إلى مواضع التفاؤل . وإذا صح للمتشائم أن ينظروا إلى الجهة السيئة المظلمة من الحياة فإن في الحياة أيضاً

الكثير من جهاتها المنقريحة ، فعلى الأرض المبهج المفرح من مناظرها وضروب جمالها ، وفي السماء ما قد تشرح الصدور به وتقر العيون الجماله وبهجته . وإذا كان الناس يتنافرون أحياناً ، ففي الناس مثل من التضامن ، وإذا كانوا يتحاربون فكثيراً ما أسعدهم السلام ، فلم نقصر نظراتنا على الجهات المظلمة من الحياة ، ونولى وجهنا عن الجهات المشرقة فيها ؟

إن المتشائم الذي يريد ألا يرى إلا الظلام ، يصح أن يقول له غيره : إن في الحياة نوراً . . . وإذا كان هناك من الأسباب ما يدعو بعض الناس إلى التشاؤم : كالمرض ، وقلة الحيلة ، والفقر ، وما إلى ذلك مما يحض على التشاؤم — فإن الحياة لم يعدم فيها العدل والصحة والعافية والثروة والا كتماء . . . فلماذا تؤثر الظلمة على النور ولا نوجه نظراتنا إلى الضوء وحده لتكون